

اللغة العربية في الأحواز

المقدمة :

هذه الدراسة كان قد قدمها ، كاتب و مدرس مرموق في الأحواز يدعى : الأستاذ مجيد عبدالله ، حيث ألقى هذه الدراسة في إحدى الأمسيات التي أقيمت في بيت أحد الأخوة في منطقة كوت عبد الله ، بمناسبة تكريم الشاعر الأحوازي الراحل : " جفير البحير " ، شاعر أحوازي معروف ، و كان قد حضر هذا الحفل التكريمي جمع من أبناء و بنات شعبنا العربي في الأحواز ، و شارك بعض الشعراء الشباب في تكريس هذه الأمسية ذات المضمون الفكري . و كان موعدها في عام 1998 م .

شارك في الإعداد: عادل السويدي

إن الشعوب تحيا حياتها عبر مسيرتها الحضارية و تسير في تاريخ حضارتها نحو الإعتلاء و الكمال ، و من الطبيعي أن تعترض هذا السير الطولي أمورٌ عرضية ، لتعيق المسيرة او لتوقفها لفترةٍ من الزمن أو تزيده إندفاعا . فهذا السير وما يعترضه من عرضيات و معيقات يشكل تاريخها الحضاري ، و التاريخ ما هو الا مرآة تعكس للأجيال المتلاحقة ثقافة الأسلاف و آدابها و أدبها و أديانها ، و كل أعرافها و تقاليدها و إحتكاكها مع الشعوب الأخرى و ما ينجم من هذا الإحتكاك من سلبيات و ايجابيات . فهذا هو التاريخ .

و اللغة هي الأداة الوحيدة ، لتعرف أي شعبٍ على ماضيه حتى يعرف اين تكون مكانته بين الأمم و الشعوب ! و كيف يستوعب التجارب ليواصل مسيرته التقدمية! ولكن اذا فقد شعبٌ هذه الأداة ، فبأي وسيلةٍ يتمكن من التعرف على ما فعله القدماء و ما قدمته له ؟ و بأي وسيلةٍ يتمكن ايضا من نشر ثقافته المؤلفه من معتقداته و أفكاره وإنجازاته المادية و المعنوية، وبالتالي نقلها الى الأجيال القادمة .

فمن الصعب تصور مفهوم الشعب دون الأخذ بالإعتبار المفاهيم و التعاريف العلمية التي يستخدمها علماء الاجتماع و السياسة في تعريفهم للشعب .

اذا ما نظرنا في لغتنا نظرةً دقيقةً تحليلية ، لوجدناها لغةً ضعيفةً ، ذليلةً مثقلةً بأعباءٍ منهكه ، مشبعةً بمفرداتٍ فارسية، و متطبعةً بطابعٍ فارسيٍ في صياغة جملها، و لهذه الحالة المؤسفة أسبابٌ شتى ، يمكن أن نحصرها في سببين رئيسيين :

السبب الأول :

هو عامل خارجي - أي عاملٌ يقع خارج إرادتنا نحن عرب الأحواز - شعب او كأفراد ، ويتكون من ثلاث نقاط :

1) إن اللغة الفارسية بصفتها ، كلغة رسمية في البلاد هي اللغة الدراسية الوحيدة للعرب في الأحواز ، و شأننا في هذا الأمر كشأن الفرس دون أي تمييز .

2) إن اللغة الفارسية تهيمن هيمنةً مطلقة ، وبدون أي رادع على جميع العلاقات السياسية و العلمية و الثقافية و الدراسية و الاجتماعية و الاقتصادية و غيرها من العلاقات في مجتمعنا العربي ، وفي مقدمة النقطتين المذكورتين ، إن شعبنا لم يمنح حقوقه القومية ، ولم يفسح أمامه المجال الرسمي لممارسة حرية العمل في ما يتعلق بشؤونه القومية ، بما في ذلك : عدم إتاحة المجال له لدراسة لغته و القيام بالتعبير عن حضوره العربي ، كواقعٍ تاريخي .

إن هذا القمع الثقافي كان قد بدء منذ عهد النظام البهلوي ، ابتداءً من رضا شاه ، وختاماً بإبانه ، حيث ركز هذا النظام القمعي سياساته الغاشمة على طمس هويتنا : كعرب ، وعلاقة إماتة لغتنا العربية بثتى السبل ، منها : - إبعاد كبار القبائل و الطوائف الى طهران و مازندران و تفريس المدن العربية في الأحواز ، ونشر الفارسية لغةً و ثقافةً بيننا .

- إنشاء المدارس في المدن و الأرياف لا من أجل نشر التعليم ، بل من أجل دعم سياسته البغيضة . وفي عهد الشاه الإبن قولنا بنفس الحقد و الكراهية ، ولكن هذه المرة بأسلوب آخر و هو إرغام المعلمين و المدرسين و الموظفين العرب في الأحواز و الخفاجية و البسيتين و الحويزة و مدن أخرى ، على ترك مدنهم و التوجه الى مدن شمال الإقليم و مدنٍ نائيةٍ أخرى خارج الإقليم .

فلم يكتفي الشاه بهذا القدر من الإستخفاف ، فأصدر أوامره الخبيثة عن طريق الوزارات منها وزارة التربية و التعليم ، بممنوعة النطق بالعربية في الدوائر و المدارس و هكذا منع العرب حتى من تبادل أقل ما يمكن من كلمات بلغتهم . أملاً كبيراً بأن النظام الجمهوري الإسلامية الإيرانية المبتدعين كل البعد عن الأفكار الضيقة ، و الداعين لمكافحة الإضطهاد و العنصرية ، و المتفتحين نحو آفاق الحرية و العدالة الاجتماعية في إطار المجتمع الحضاري المنسجم مع روح الاسلام النهضوي ، و أسس النظام الثوري و الدستور التقدمي ، سوف ينظرون في حقوق الشعوب ، بمنظار العدل و الفعلية ، و يساهمون مساهمةً صادقةً فعالة في تجسيد ما وهب الله الشعوب من حقوقٍ مبدئية، تجسيدا على أرضية الواقع يرضي الله و عباده ، إنشاءً لله .

السبب الثاني :

إذا كان السبب الأول ناشئاً عن عاملٍ خارجيٍ لا إرادة لنا فيه و لا رغبة ، فالسبب الثاني ، و هو تصرفنا غير اللائق بلغتنا ، يأتي منا و علينا ، و يبرهن على عدم إهتمامنا بها و بأنفسنا بالذات . إذا كانت المصطلحات العلمية و الفنية لا تتبادر في بالنا و لا تجري على ألسنتنا بطلاقة ، ماذا نقولون في الأقوال البسيطة التالية ، و التي لا تحتوي أي كلمةٍ يصعب علينا بديلها في العربية . من جملة هذه الأقوال كأن تقول مثلاً :

(طكيت الباب رنك) (يوم الدوشنبه عندنا زروش) (إبنی طلع قبولي برشته الكشاورزي)
(الترافيك كان سنكين) (جرخ الكوشتي ما تجرخ زين) و هكذا .

يجب علينا أن ننظر الى الحالة المؤسفة لهذه اللغة بنظرة دقيقة و باهتمام بالغ ، و لا أظن بأن هنالك ممن يشك بالحالة المأساوية التي تمر بها لغتنا ، اذا ما نظرنا اليها بنظرة الحريص الغيور ، كلما مرّ زمنٌ على لغتنا و هي تعيش نفس الحالة المستمرة ، كلما ازدادت نسبة الكلمات الفارسية فيها و اتسعت مساحة تواجدتها على حساب لغتنا ، و الدليل واضح ، فكلنا ندري و نعرف ايضا بأن نسبة الكلمات الفارسية الدخيلة في لغتنا قبل 20 او 30 عاما مثلا ، كانت أقل بكثير مما هي عليه الآن ، و ما كنا نتكلم الفارسية في بيوتنا او نخلطها بلغتنا في طفولتنا و بصبواتنا، بقدر ما تستخدم الآن و تخطط لا من قبل الأطفال و تلامذة المدارس فحسب ، و إنما من قبل الكبار ايضا .

لكل شيء حدّ، تعاطي المفردات و المصطلحات و المفاهيم العلمية و الفنية و السياسي و الاقتصادية و غيرها عن طريق تعلم اللغات و تبادل الخبرات أمرٌ طبيعي و لا يمكن إجتذابه خاصةً في عصرنا هذا حيث وسائل الإعلام و المواصلات الحديثة و المتطوره و المتنوعة الاشكال و المهام آخذةً بترويج العلوم و الثقافة و التكنولوجيا و نشرها بسرعة هائلة عبر القارات ، الأمر هامٌ و شاملٌ ، و اللغة بصفتها كظاهرةٍ من ظواهر الثقافة بأي مجتمع او شعب لا تُستثنى من ذلك، ليس بإمكان أي لغةٍ او ثقافةٍ أن تضع نفسها في سياقٍ من فولاذٍ كي تصون نفسها من أي تطورٍ أو تأثيرٍ بغيرها، كل ما تطوّرت العلوم و التكنولوجيا و انتشرت في المجتمعات ، كلما تأثرت بها معالم الحياة البشرية و منها اللغة بالذات، فاللغة تتغير و تتطور و تنمو و تتوسّع و تنتشر و تؤثر و تتأثر ، لانها حيّة و ليست صماءً او ميتة ، لكن ترك الباب مفتوحا على مصراعيه أمام الهجمات العشوائية للغة المهيمنة حتى تُطبق على المهيمن عليها أمرٌ لا يُطاق و لا يستحق اللامبالاة و ينافي تماما ما قيل أنفا في ما يتعلق بتعلم اللغات و تبادل المصطلحات و الخبرات ، فمن هنا يجب علينا أن نعي و نستوعي الآخرين حتى يقوموا بدورٍ نشطٍ متمسٍ بالغيرة ، تجاه إنعاش لغتهم التي تقع في مقدمة كل ظواهر الثقافة و الحضارة .

في إطار هذا الإهتمام نرى اليوم بعض الشعوب ، و نعي بوجهٍ خاصٍ شعوب العالم الثالث ممن تأثرت لغاتهم في هذا القرن بمفرداتٍ و مصطلحاتٍ فنيةٍ و علميةٍ و سياسيةٍ و إقتصاديةٍ غريبة ، قد بداوا بنهضةٍ واعيةٍ للحد من تسرب تلك المفردات الى لغاتهم ، حيث بذلوا جهدا كبيرا لإستبدال ما يمكن منها، بمفردات و مصطلحات محلية ، بغير الحفاظ على لغاتهم من التعرّض العشوائي للغة المهاجمة التي تفرض هيمنتها عن طريق إستيراد التكنولوجيا و التعرف على العلوم الحديثة.

ففي بلادنا ايران مثلا : هناك مجمعٌ يُسمّى " فرهنكستان زبان و أدب فارسي " أي " المجمع الثقافي للغة و الأدب الفارسيين " ، يشرف على وضع مفرداتٍ و مصطلحاتٍ فارسيةٍ جديدةٍ لتحل محل المفردات و المصطلحات الغربية المستوردة ، حيث يصدر في هذا الشأن، مجلةٌ فصليةٌ تُسمّى " نامه فرهنكستان " أي " رسالة المجمع الثقافي " و ينشر فيها آخر ما يتوصّل اليه من كلماتٍ بديلةٍ، بالإضافة الى هذه المجلة هناك مساعٍ أخرى يبذلها المجلس لنفس الغرض ، فمثلا نرى في التلفزيون برنامجا خاصا باسم " فارسي را باس بداريم " أي " لنصن الفارسية " ، يتناول بعض المفردات الأجنبية و الأغلط الإنشائية و المكتوبة و المقروءة الشائعة كي يصحح الناس أغلظهم و ينقوا لغتهم . نفس المساعي تبذل في الدول العربية و لنفس الغرض ، و تحت إشراف مجمع واحد يُسمّى " مجمع اللغة العربية " و مقره في القاهرة .

من البديهي أن يكون لأي عملٍ دافعٌ ، و الدافع الوحيد لتنقية اللغة هو (الغيرة) و لا غير ، فأني مسعا يرمي الى الحد من تسرب المفردات الأجنبية الى لغةٍ أخرى ، لاسيما إن كانت بسيطة و من الطراز المتداول عند العامة و من النوع المشار اليه سلفا ، يكون أمرا ممكنا اذا ما إتصل بالغيره ، بالإضافة الى الدافع الرئيسي ، أي الغيرة لا بد أن تكون هناك وسائل كفيلة بتنقية اللغة ، و هي مراجعة الكتب و الجرائد العربية و استخدام الوسائل ذات الصلة بالسمع و البصر .

و الى جانب هذا لا بد من عنصر الحرص و الإصرار على إستخدام المفردات الصحيحة دون حجلٍ من هذا او ذاك . و في نفس الوقت تشجيع الأبناء و الآخرين على التكلم بها و الاستمرار في هذا النهج حتى تأخذ الكلمات العربية الصحيحة طريقها تدريجيا الى المسامع و تتطبّع على الألسن ، فتصبح ساريةً مألوفة .

إن كان هذا قدرُ لغتنا أن تعيش حالةٍ كهذه و تصبح كما هي الآن : فالإستمرار الدؤوب على المحافظة عليها و المراقبة المشددة على عدم خلطها بغيرها هو قدرنا نحن أهلها ، فليس لها دوننا و ليس لنا دونها .
لا مناص من قدرٍ و لا عدول عن مسؤوليةٍ تقع على عاتق الانسان الغيور .

و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته

**الأستاذ : مجيد عبدالله ، كاتب و باحث في مجال اللغة العربية
و أستاذ اللغة الإنجليزية في جامعة مدينة الأحواز**